حِكَايَاتُ حَكِيْمِ الصَّغِيْرِ

قِصَصٌ مُسَلِّيَةٌ وَهَادِفَةٌ لِلْأَطْفَالِ وَالنَّاشِئَةِ

1

حَكِيمُ الصَّغِيرُ وَالطِّفْلُ الضَّائِعُ

بقلم

عبد الرزاق كيلو

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب 31426 - هاتف: 2248433 - فاكس: 2248432
E-mail:almaktabi@mail.sy

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَعِزَّائِي وَأَحِبَّائِي :

أَنَا صَدِيْقُكُمْ حَكِيمٌ الصَّغِيرُ ، سَأُحَدِّثُكُمْ فِي هَذِهِ الصَّفَحَاتِ عَنْ قِصَّتِي مَعَ الطِّفْلِ الضَّائِعِ ، وَكَيْفَ أَسْهَمْتُ فِي مُسَاعَدَتِهِ فِي العُثُورِ عَلى أُمِّهِ وَسَطَ السُّوقِ المُزْدَحِمِ بِالمَارَّةِ ، والَّذِي يَعُجُّ بِالبَاعَةِ وَالمُشْتَرِينَ ، وَتَتَرَاءَى فِيْهِ حَرَكَةُ النَّاسِ الَّتِي لا تَهْدَأُ .

لَقَدْ كَانَتِ السَّاعَةُ حَوَالي العَاشِرَةِ صَبَاحاً عِنْدَمَا طَلَبَتْ مِنِّي وَالِدَتِي الذَّهَابَ إِلى السُّوقِ لِشِراءِ بَعْضِ الأَغْرَاضِ .. فَقَدِ اعْتَدْتُ الذَّهَابَ إِلى السُّوقِ بَيْنَ الفَتْرَةِ وَالأُخْرَى ، وَفِي أَغْلَبِ الأَحْيَانِ كَانَتْ أُمِّي هِيَ الَّتِي تَذْهَبُ لِشِرَاءِ الحَاجَاتِ وَالأَغْرَاضِ ، وَلَكِنْ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ تَنْشَغِلُ فِي تَرْتِيبِ المَنْزِلِ أَوْ فِي اسْتِقْبَالِ الضُّيُوفِ، فَأَنُوبُ عَنْهَا فِي شِرَاءِ مَا يَلْزَمُنا مِنْ حَاجَاتٍ .

ذَهَبْتُ في ذَلِكَ اليَومِ الَّذِي لا أَنْسَاهُ إِلى السُّوقِ ، مُلْتَزِماً نَصَائِحَ وَالِدَتي لي بِعَدَمِ الرَّكْضِ مُسْرِعاً ، أَوِ السَّيْرِ وَسَطَ الشَّارِعِ ، حِرْصاً عَلى سَلامَتي ، إِذْ في الأَغْلَبِ لا يَسْلَمُ وَلَدٌ مِثْلي مِنَ الوُقُوعِ أَرْضاً وَهُوَ يَرْكُضُ عَلى عَجَلٍ مِنْ غَيْرِ انْتِبَاهٍ .. حَصَلَ مَعِي هَذَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَفي إِحْدَى المَرَّاتِ كُنْتُ أَرْكُضُ مُسْرِعاً ، فَتَعَثَّرَتْ رِجْلي بِحَجَرٍ مُلْقًى عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ .. وَوَقَعْتُ أَرْضاً ، وَأُصِبْتُ بِجُرُوحٍ في رُكْبَتي وَفي مُقَدِّمَةِ رَأْسِي .. وَقْتَهَا تَأَلَّمْتُ كَثِيراً .. وَمَرَّةً أُخْرَى تَوَرَّمَتْ سَاعِدِي اليُمْنَى ، فَتَعَلَّمْتُ أَنَّ السَّيْرَ بِاعْتِدَالٍ وَأَنَاةٍ أَسْلَمُ مِنَ الرَّكْضِ مُسْرِعاً .

كُنْتُ أَمْشِي وَأَنْظُرُ أَمَامِي ، وَأَرْنُو في وُجُوهِ المَارَّةِ وَأُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، خَاصَّةً الَّذِينَ أَعْرِفُهُمْ ، وَرُبَّمَا اسْتَوقَفَنِي بَعْضُهُمْ لِلاسْتِفْسَارِ عَنْ حَالي ، وَعَنْ حَالِ إِخْوَتي وَوَالِدَيَّ .

وَعِنْدَمَا أَصِلُ إِلى السُّوقِ كُنْتُ أُقَلِّبُ بَصَرِي فِي عَرَبَاتِ الخُضَارِ المَصْفُوفَةِ إِلى جَانِبِ بَعْضِهَا لِأَخْتَارَ مَا يَرُوقُ لي شِراؤُهُ حَسْبَمَا طَلَبَتْ أُمِّي مِنِّي .

وَعِنْدَمَا أَنْتَهِي مِنَ الشِّرَاءِ أَعُودُ إِلى المَنْزِلِ حَامِلاً الأَغْرَاضَ وَالحَاجَاتِ بِكِلْتَا يَدَيَّ .

لَكِنِّي فِي هَذَا اليَومِ لَمْ أَنْظُرْ إِلى عَرَبَاتِ الخُضَارِ كَعَادَتي ، لَقَدِ اسْتَرْعَى انْتِبَاهِي رُؤْيَتِي طِفْلاً صَغِيراً يَلُوْذُ بِحَائِطِ السُّوقِ وَيُجْهِشُ بِالبُكَاءِ !..

كَانَ يَنْظُرُ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ بِلَهَفٍ وَكَرْبٍ شَدِيدَينِ .. وَصَوْتُ أَنِينِهِ يَصِلُ إِلى أَسْمَاعِي فَيَحُزُّ فِي قَلْبِي ، وَيَجْرَحُ مَشَاعِرِي ..

وَعِنْدَمَا يَصْحُو مِنَ البُكَاءِ كَانَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَتَأَمَّلُ فِي وُجُوهِ النَّاسِ كَأَنَّمَا يَطْلُبُ مِنْهُمُ المُسَاعَدَةَ وَالنَّجْدَةَ .

تَوَجَّهْتُ إِلَيهِ مُتَجَاوِزاً النَّاسَ وَسَطَ الزِّحَامِ ، وَعِنْدَمَا شَاهَدَنِي أَتَقَدَّمُ إِلَيهِ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ ، وَأَسْفَرَ وَجْهُهُ عَنِ ابْتِسَامَةٍ يَعْتَرِيهَا الأَمَلُ وَالتَّفَاؤُلُ ، وَهَمَّ يَخْطُو مُتَّجِهاً إِلَيَّ ، لَكِنَّنِي أَشَرْتُ إِلَيهِ أَنْ يَبْقَى وَاقِفاً مَكَانَهُ ..

كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَرَونَهُ وَلا يُلْقُونَ لَهُ بَالاً ، رُبَّمَا لِعَدَمِ إِدْرَاكِهِمْ مَا أَصَابَهُ ، أَوْ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِأَنَّهُ ضَلَّ عَنْ أُمِّهِ وَسَطَ زَحْمَةِ النَّاسِ فِي السُّوقِ ، وَمَا كِدْتُ أَصِلُ إِلَيهِ حَتَّى وَضَعْتُ يَدِي عَلى رَأْسِهِ حَنَاناً وَعَطْفاً ..

فَنَظَرَ فِي وَجْهِي بِإِمْعَانٍ ثُمَّ أَجْهَشَ بِالبُكَاءِ ..

أَثَارَ بُكَاؤُهُ الشَّدِيدُ انْتِبَاهَ النَّاسِ ، فَالْتَفَتَ إِلَينَا رَجُلٌ يَشْتَرِي مِنْ أَحَدِ البَاعَةِ يَقِفُ قَرِيباً مِنَ المَكَانِ ، وَقَالَ لي مُسْتَغْرِباً : ما حَالُ هَذَا الصَّبِيِّ يَبْكِي هَكَذَا ؟.. قُلْتُ لَهُ وَأَنَا أُقَلِّبُ كَفَّيَّ مُنْدَهِشاً : لا أَعْرِفُ .

هَكَذَا كَانَ جَوَابي لِلرَّجُلِ ، حَيْثُ كُنتُ أَحْسَبُ أَنَّ الطِّفْلَ يَنْتَظِرُ أَحَدَ وَالِدَيْهِ الَّذِي يَشْتَرِي مِنْ عِنْدِ البَائِعِ القَرِيبِ مِنَ المَكَانِ.

أَخَذْتُ بِيَدِ الطِّفْلِ وَمَشَيْتُ بِهِ إِلى البَائِعِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ ، فَأَجَابَنِي البَائِعُ مُسْتَغْرِباً هُوَ الآخَرُ : لا أَدْرِي .. وَمُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ وَهُوَ يَقِفُ هُنَا ، فَرُبَّمَا كَانَ يَنْتَظِرُ أَحَداً يَشْتَرِي مِنْ هُنَا أَوْ مِنْ هُنَاكَ ..

لَكِنَّ أَحَدَ الرِّجَالِ قَاطَعَ حَدِيثَنَا قَائِلاً : رُبَّمَا كَانَ هَذَا الطِّفْلُ ضَائِعاً .. فَمَنْظَرُهُ يُوْحِي بِذَلِكَ ..

تَجَمَّعَ بَعْضُ النَّاسِ حولَنَا بَعْدَ أَنْ سَمِعُوا الكَلامَ الَّذِي دَارَ بَيني وَبَيْنَ البَائِعِ عَنْ حَالِ الطِّفْلِ ، وَقَدْ أَدْرَكَ الجَمِيعُ فِعْلاً أَنَّهُ ضَائِعٌ ، بَيْنَمَا كَانَ الطِّفْلُ مُتَشَبِّثاً بِيَدِي وَقَدْ تَعَلَّقَ بي مُسْتَأْنِساً بِعَطْفِي وَاهْتِمَامِي بِهِ وَهُوَ يَنْظُرُ إلى النَّاسِ بِخَوْفٍ وَحَذَرٍ .. الْتَفَتُّ إِلَيْهِ وَسَأَلْتُهُ بِلُطْفٍ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ ، وَلِمَاذَا يَقِفُ وَحِيداً وَبَعيداً عَنِ النَّاسِ ؟..

نَظَرَ إِلَيَّ وَالحُزْنُ يَعْتَصِرُ أَنْفَاسَهُ ، ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلى هُنَاكَ .. إِلى وَسَطِ السُّوقِ ، فَأَدْرَكْتُ بَدَاهَةً أَنَّهُ ضَلَّ عَنْ أَحَدِ وَالِدَيهِ وَسَطَ السُّوقِ .

سَأَلْتُهُ مُسْتَوضِحاً : هَلْ ضِعْتَ عَنْ أَبِيكَ هُنَاكَ ؟.

فَأَوْمَأَ لي بِرَأْسِهِ نَافِياً كَوْنَهُ ضَاعَ عَنْ أَبِيهِ ..

فَسَأَلْتُهُ ثَانِيَةً : هَلْ ضِعْتَ عَنْ أُمِّكَ هُنَاكَ ؟ .

فَأَوْمَأَ لِي بِرَأْسِهِ مُؤَكِّداً ذَلِكَ .. وَهُوَ يُبْدِي رَغْبَتَهُ بِالذَّهَابِ إِلى أُمِّهِ وَالعُثُورِ عَلَيْهَا ..

أَدْرَكْتُ حِينَهَا أَنَّ أُمَّهُ لا تَزَالُ هُنَاكَ .. دَاخِلَ السُّوقِ ، وَهِيَ الأُخْرَى مَشْغُولَةٌ فِي البَحْثِ عَنْهُ .. وَمِنْ وَاجِبِي عَدَمُ تَرْكِهِ حَتَّى يَعْثُرَ عَلى أُمِّهِ ، وَأَرُدَّهُ إِلَيْهَا.

طَلَبْتُ مِنَ البَائِعِ الَّذِي أَقِفُ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ مُسَاعَدَتِي ، بِأَنْ يَنْتَبِهَ فِي حَالِ مُرُورِ وَالِدَةِ الطِّفْلِ وَهِيَ مَلْهُوفَةٌ تَبْحَثُ عَنْ وَلَدِهَا الضَّائِعِ ..

أَخْبَرَنِي البَائِعُ بِحِرْصِهِ الشَّدِيدِ عَلى القِيَامِ بِهَذَا الوَاجِبِ الإِنْسَانِيِّ .

وَلَوْ يُوْجَدُ مَنْ يَقِفُ مَكَانَهُ وَيَنُوبُ عَنْهُ في بَيْعِ النَّاسِ لأَتَى مَعِي وَشَارَكَنِي في البَحْثِ عَنْ وَالِدَةِ الطِّفْلِ الضَّائِعِ ..

تَدَرَّجْتُ مَاشِياً إِلى دَاخِلِ السُّوقِ وَأَنَا مُمْسِكاً بِيَدِ الطِّفْلِ الَّذِي بَدَأَ يَتَحَرَّرُ مِنَ الخَوفِ وَالهَلَعِ وَالحُزْنِ عَلى شُرُودِهِ وَضَيَاعِهِ عَنْ أُمِّهِ ، وَلَمْ أَنْسَ أَنْ أُذَكِّرَهُ بِالتَّأَمُّلِ في وُجُوهِ النَّاسِ بَحْثاً عَنْ أُمِّهِ ، وَبِأَنْ لا يَنْشَغِلَ بِشَيءٍ آخَرَ عَنْ هَذِهِ الغَايَةِ .

وَلا أُخْفِي عَلَيْكُمْ سِرّاً يَا أَعِزَّائِي .. إِنَّنِي كُنْتُ حَذِراً ، وَمَشْدُودَ الانْتِبَاهِ ، وَمُتَيَقِّظَ العَقْلِ ، يَخْفِقُ قَلْبِي تَرَقُّباً لِأَيِّ إِشَارَةٍ يُطْلِقُهَا الطِّفْلُ تَدُلُّ عَلى رُؤْيَتِهِ لِأُمِّهِ أَوْ رُؤْيَتِهَا لَهُ ..

كَمَا كُنْتُ أُجِيلُ بَصَرِي في وُجُوهِ النَّاسِ وَأَتَأَمَّلُهَا بَحْثاً عَنْ أَيِّ امْرَأَةٍ مُتَلَهِّفَةٍ تَبْحَثُ عَنْ وَلَدِها .

لِأَنَّ حَالَ امْرَأَةٍ كهذه لَنْ يَخْفَى عَنِّي ، وَبَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى كُنْتُ أَسْأَلُ الطِّفْلَ إِذَا كَانَ تَعَرَّفَ عَلى المَكَانِ الَّذِي ضَاعَ فِيهِ عَنْ أُمِّهِ ، فَكَانَ يَرُدُّ عَلَيَّ بِعَدَمِ تَمَكُّنِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ بَعْدُ .

صَاحَ الطِّفْلُ فَجأَةً بِأَعْلى صَوْتِهِ ـ وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ صَوْبَ أَحَدِ البَاعَةِ وَسَطَ السُّوقِ ـ : هُنَاكَ .. هُنَاكَ .. ضِعْتُ عَنْ أُمِّي .

فَأَمْسَكْتُ بِيَدِهِ ، وَسِرْتُ بِهِ مُسْرِعاً بِاتِّجَاهِ البَائِعِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ ، وَمَا أَنْ وَقَعَتْ عَيْنُ البَائِعِ عَلَيهِ حَتَّى عَرَفَهُ ..

وَصَاحَ عَلَيْهِ قَائِلاً لَهُ : أَيُّهَا الوَلَدُ الشَّقِيُّ ! أَيْنَ كُنْتَ ؟ لَقَدْ ذَابَ قَلْبُ أُمِّكَ عَلَيْكَ وَهِيَ تَبْحَثُ عَنْكَ .

سَأَلْتُ البَائِعَ عَنْ أُمِّ الطِّفْلِ الضَّائِعِ .. كَيْفَ ذَهَبَتْ ؟

فَأَخْبَرَنِي أَنَّهَا ذَهَبَتْ إِلى الجَانِبِ الآخَرِ مِنَ السُّوْقِ مُتَلَهِّفَةً وَبَاكِيَةً مِنْ أَجْلِ البَحْثِ عَنْ وَلَدِهَا ..

فَأَمْسَكْتُ مِنْ جَدِيدٍ بِيَدِ الطِّفْلِ وَهُرِعْتُ مُسْرِعاً إِلى الجَانِبِ الآخَرِ مِنَ السُّوْقِ وَشُعُورٌ كَبيرٌ يَغْمُرُنِي أَنَّنِي سَأَلْقَى أُمَّهُ هُنَاكَ ..

وَمَا كِدْنَا نَصِلُ إِلى الجَانِبِ الآخَرِ مِنَ السُّوقِ حَتَّى صَاحَ الطِّفْلُ - وَهُوَ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلى امْرَأَةٍ بَيْنَ زَحْمَةِ النَّاسِ - : أُمِّي .. أُمِّي .

خَفَقَ قَلْبِي .. وَاقْشَعَرَّ جلدي .. وَدَمَعَتْ عَيْنَايَ .. لِرُؤْيَتِي لِهَذِهِ المَرْأَةِ الحَزِينَةِ الَّتِي اخْضَلَّ وَجْهُهَا بِالدُّمُوعِ ، وَهِي تَرْكُضُ بِاتِّجَاهِنَا مُسْرِعَةً نَاشِرَةً ذِرَاعَيْهَا ، وَقَلْبُهَا يَسْبِقُ خُطُوَاتِهَا .

أَفْلَتَ الطِّفْلُ يَدَهُ مِنِّي وَرَكَضَ فَرِحاً إِلى أُمِّهِ ..

طَوَّقَتْهُ أُمُّهُ بِذِرَاعَيْهَا ، وَضَمَّتْهُ إِلى صَدْرِها ، وَشَرَعَتْ في تَقْبِيلِهِ وَهِيَ تَمْسَحُ دُمُوعَهَا عَنْ وَجْهِهَا ..

ثُمَّ حَمَدَتِ اللّٰه سُبْحَانَهُ وَتَعَالى ، أَنْ رَدَّ إِلَيْهَا طِفْلَهَا سَالِماً ، وَشَكَرَتْني عَلى اهْتِمَامِي بِوَلَدِهَا ، ثُمَّ فَارَقَانِي وَالطِّفْلُ يُلَوِّحُ لي بِيَدِهِ مُوَدِّعاً .

* * *

أَحِبَّائِي وَأَعِزَّائِي :

لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصِفَ لَكُمْ فَرْحَتِي وَسُرُورِي بِهَذَا العَمَلِ النَّبِيلِ الَّذِي أَسْعَدَنِي اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى بِالقِيَامِ بِهِ فِي صَبَاحِ هَذَا اليَومِ ..

لَكِنْ .. بَعْدَ أَنِ اشْتَرَيْتُ الحَاجَاتِ وَالأَغْرَاضَ ، وَعُدْتُ إِلى المَنْزِلِ وَجَدْتُ وَالِدَتِي وَإِخْوَتِي يَنْتَظِرُونَ عَوْدَتِي بِلَهَفٍ وَحَذَرٍ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُ أَصَابَنِي مَكْرُوهٌ أَخَّرَ عَوْدَتِي مِنَ السُّوقِ .

وَلَمَّا قَصَصْتُ عَلَيْهِمْ قِصَّةَ الطِّفْلِ الضَّائِعِ فِي السُّوقِ ، هَتَفَ لِيَ الجَمِيعُ : مَرْحَى لَكَ يَا حَكِيمٌ لِهَذَا العَمَلِ النَّبِيلِ .

التَّوْجِيهَاتُ وَالإِرْشَادَاتُ المُسْتَفَادَةُ مِنَ القِصَّةِ

أَوَّلاً: إِنَّ مِنْ آدَابِ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ المَشْيُ بِهُدُوءٍ وَأَنَاةٍ ، وَعَدَمُ الرَّكْضِ السَّرِيْعِ حَذَراً مِنْ وُقُوعِ مَا لا يُحْمَدُ عُقْبَاهُ .

ثَانِياً: مِنَ الوَاجِبِ عَلى الوَلَدِ التَّقَيُّدُ بِوَصَايَا وَنَصَائِحِ وَالِدَيهِ ، وَالعَمَلُ عَلى تَنْفِيْذِهَا .

ثَالِثاً : مِنَ الوَاجِبِ عَلى الإِنْسَانِ مُسَاعَدَةُ النَّاسِ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ ، خَاصَّةً إِذَا صَادَفَهُمْ فِي الطَّرِيقِ وَهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلى مُسَاعَدَةٍ .

رَابِعاً : إِذَا رَأَيْتُ ضَالاً أَوْ ضَائِعاً فِي الطَّرِيقِ فَمِنْ وَاجِبِي إِرْشَادُهُ ، وَالأَخْذُ بِيَدِهِ حَتَّى يَصِلُ إِلى مُبْتَغَاهُ .

الأَسْـــئِلَـةُ وَالـمُنَاقَشَــةُ

1 ـ لِـمَـاذَا ذَهَبَ حَكِيمٌ الصَّغِيرُ إِلى السُّوقِ ؟.

2 ـ بِمَـاذَا أَوْصَتْهُ أُمُّهُ ؟ وَلِـمَـاذَا ؟.

3 ـ مَاذَا أَصَابَهُ عِنْدَمَا وَقَعَ عَلى الأَرْضِ وَهُوَ يَرْكُضُ ؟.

4 ـ مَاذَا كَانَ يَفْعَلُ أَثْنَاءَ سَيْرِهِ فِي الطَّرِيقِ ؟.

5 ـ مَاذَا كَانَ يَفْعَلُ عِنْدَمَا يَصِلُ إِلى السُّوقِ ؟.

6 ـ مَاذَا شَاهَدَ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلى السُّوقِ ؟.

7ـ كَيفَ عَرَفَ أَنَّ الطِّفْلَ أَصَابَهُ كَرْبٌ شَدِيدٌ ؟.

8 ـ بِمَـاذَا هَمَّ الطِّفْلُ عِنْدَمَا رَأَى حَكِيْمـاً الصَّغِيرَ يَتَوَجَّهُ نَاحِيَتَهُ ؟.

9 ـ مَاذَا طَلَبَ حَكِيمٌ الصَّغِيرُ مِنَ الطِّفْلِ أَنْ يَفْعَلَ عِنْدَمَا مَشَيَا إِلى وَسَطِ السُّوقِ ؟.

10 ـ مَاذَا فَعَلَتِ الـمَرأَةُ عِنْدَمَا شَاهَدَتِ ابْنَهَا الضَّائِعَ ؟ وَمَاذَا فَعَلَ ابْنُهَا عِنْدَمَا رَآهَا ؟.